2024 آيار مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 5
May. 2024 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 5
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

جمالية الأسلوب القرآني في ترابط الآيات القرآنية سورة الفاتحة أنموذجا

أ.م.د. أحمد حميد أوغلوا
جامعة آغري إبراهيم جاجان - كلية العلوم الإسلامية -تركيا
Ahmet.abood82@gmail.com
00905342352490
أ.م.د. هدى سعيد العميدي
جامعة الزهراء للبنات - كلية التربية - العراق
Huda.saeed@alzahraa.edu.iq
009647830934112

ملخص
تمثل سورة الفاتحة الواجهة الجمالية الحقيقية لجواهر القرآن الكريم المكنونة، حيث أنها كانت السورة التي تنفرد بصفات ماليس لغيرها، حتى قيل أن جميع القرآن الكريم فيها لما تحمله، وكانت طبيعة هذه الدراسة التي اختصت بسورة الفاتحة أن تنقسم الى هذه المقدمة وثلاثة مباحث تناولنا في المبحث الأول جمالية الأسلوب القرآني ومكانة سورة الفاتحة من القرآن الكريم، وأما المبحث الثاني: تناولنا فيه **إجمال ألفاظ سورة الفاتحة وشرح مفرداتها**:، وأما المبحث الثالث: تناولنا فيه تناسب الأطراف في سورة الفاتحة، ثم الخاتمة بينا فيها أهم النتائج والتوصيات ، والحمدلله رب العالمين.
كلمات مفتاحية : الاسلوب القراني ، الفاتحة

The aesthetics of the Qur’anic style in the interconnection of Qur’anic verses, Surah Al-Fatihah, as an example

A.P.D. Ahmed Hamid Oglu
Ağrı Ibrahim Çagan University - Faculty of Islamic Sciences - Turkey
Ahmet.abood82@gmail.com
00905342352490
A.P. D. Hoda Saeed Al-Ameedi
Al-Zahraa University for Girls - College of Education - Iraq
Huda.saeed@alzahraa.edu.iq
009647830934112

summary
Surah Al-Fatihah represents the true aesthetic showcase of the hidden essences of the Holy Qur’an, as it was the surah that was unique in having qualities that no other had, to the point that it was said that all of the Holy Qur’an contains what it carries, and the nature of this study, which specialized in Surat Al-Fatihah, was to be divided into this introduction and three sections that we discussed in the first section. The aesthetics of the Qur’anic style and the status of Surat Al-Fatihah in the Holy Qur’an. As for the second section: We discussed the general terms of Surat Al-Fatihah and an explanation of its vocabulary. As for the third section: We discussed the proportionality of the parties in Surat Al-Fatihah, then the conclusion in which we explained the most important results and recommendations. Praise be to God, Lord of the Worlds.
Keywords: Quranic style, Al-Fatihah

العدد 5 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية آيار 2024
No. 5 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences May. 2024
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى أله الطيبين الطاهرين وصحابته المنتجبين:

إن القرآن الكريم الذي أعجز البشرية بجماله وكماله وترابط آياته وسوره، جعل من الإنسان أن يتفكر بعظمة الخالق جل جلالة، وكيف تناول جميع هذه المخلوقات في كتابه العزيز (القرآن الكريم)، وبيّن فيه كل ما يتعلق بهذه الدنيا من أحكام و قوانين رسمت للبشرية طريق النجاة ، ولامست هذه القوانين وهذه الأحكام جمالية في عرض القصص والأحداث وجمالية الترابط بينها، وجاء في التحرير والتنوير: " أن جمالية الأسلوب القرآني وروعة ميزته وخصائصه عن كلام العرب في إحدى مقدمات كتابه: «..نرى من أعظم الأساليب التي خالف بها القرآن أساليب العرب أنه جاء في نظمه بأسلوب جامع بين مقصديه وهما: مقصد الموعظة ومقصد التشريع، فكان نظمه يمنح بظاهره السامعين ما يحتاجون أن يعلموه وهو في هذا النوع يشبه خطبهم، وكان في مطاوي معانيه ما يستخرج منه العالم الخبير أحكاما كثيرة في التشريع والآداب وغيرها، وقد قال في الكلام على بعضه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل **عمران: 7]** هذا من حيث ما لمعانيه من العموم والإيماء إلى العلل والمقاصد وغيرها. ومن أساليبه ما أسميه بالتفنّن؛ وهو بداعة تنقلاته من فن إلى فن بطرائق الاعتراض والتنظير والتذليل والإتيان بالمترادفات عند التكرير تجنبا لثقل تكرير الكلم، وكذلك الإكثار من أسلوب الالتفات المعدود من أعظم أساليب التفنن عند بلغاء العربية، فهو في القرآن كثير، ثم الرجوع إلى المقصود، فيكون السامعون في نشاط متجدد بسماعه وإقبالهم عليه"[1].

المبحث الأول جمالية الأسلوب القرآني ومكانة سورة الفاتحة من القرآن الكريم:

المطلب الأول :جمالية الأسلوب القرآني؟

أولاً: الأسلوب لغةً: السين واللام والباء أصل واحد- وهو أخذ الشيء بخفة واختطاف[2] وكما يقال للسطر من النخيل"أسلوب"وأي ماهو ممتد يسمى أسلوب. وكما قيل أن كل شيء ممتد من غير إتساع هو أسلوب[3]. ويأتي الأسلوب بمعنى: الوجه والطريق والمذهب،فيقال: أنتم أسلوب شر، وجمع الأسلوب أساليب[4] وكما يأتي بمعنى الطريق[5]، وأما الاسلوب بالضمة: يسمى فن، ويقال أن أخذُ فلانٌ في أساليبِ من القولِ اي افانينَ مِنهُ[6].

ثانياً: الأسلوب اصطلاحاً:

جاء لفظ "الأسلوب" في التعريفات الإصطلاحية مقترناً بالعلم الذي يقترن به، على سبيل المثال الأسلوب عند اهل علم الكلام يعرف بـ" أسلوب المتكلمين " وعند اهل الفقه واصوله " أسلوب الفقهاء" وعند أهل الحديث " أسلوب المحديثين" ، وكل هذه التعريفات لم تخرج عن أصل التعريف اللغوي، ونحن نتحدث عن أسلوب من أساليب القرآن، فإنه من الواجب على كل مسلم الحديث عن خطاب القرآن الكريم من عدة جوانبَ لغوية وما يتميز به أسلوبها. مما يعطي الصورة عامة له، وهذا بمثابة مقدمةٍ للكلام عن الأسلوب الحكيم في القرآن. ولا شك أن للقرآن الكريم أسلوبه الذي يتميز به من خصائص فنية وسمات تمتاز

---

1 - التحرير والتنوير" للعلامة محمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ)، الناشر : دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس سنة النشر: 1984 هـ، ص115-116.

[2] - أحمد فارس بن ذكريا الرازي: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر عام 1979م ص 920.

[3] - نشوان بن سعيد الحميري اليمين، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق حسن بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر ، بيروت 1999م 5/ 3158.

[4] - محمد بن أحمد الأزهري: تهذيب اللغة 12/ 302) (محمد بن منظور: لسان العرب، 1/ 473.

[5] - محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية 71/3، ومحمد بن منظور: لسان العرب/ 1/ 471.

[6] - محمد بن منظور: لسان العرب 1/ 473 و الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس 71/3.

بالبلاغة لاتخلو من الطائف الغوية وتتضمنها السلامة المنطقية والبراعة التعبيرية والدقة التصويرية والروعة البيانية، فلذلك جاء عن الإمام الزرقاني : "أن أسلوب القران الكريم هو الطريقة التي انفرد بها القرآن الكريم في تأليف كلامه واختيار لفظه"[7]، فالأسلوب في عند أهل التفسير هو مانفرد به القرآن الكريم من تأليف كلامه واختيار الفاظه، "ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به، فإن لكل كلام إلهي أو بشري أسلوبه الخاص به، وأساليب المتكلمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدد بتعدد أشخاصهم بل تتعدد في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها[8]".

المطلب الثاني : مكانة سورة الفاتحة من القرآن الكريم:

أفتتح القرآن الكريم سوره بسورة الفاتحة لما لها المكانة العليا والأفضلية الكبرى، حيث جعلها الله سبحانه وتعالى أساس صحة عبادة الصلاة التي هي عمود الدين كما قال الإمام الباقر (عليه السلام):" الصلاة عمود الدين، مثلها كمثل عمود الفسطاط، إذا ثبت العمود يثبت الأوتاد والأطناب، وإذا مال العمود وانكسر لم يثبت وتد ولا طنب[9] ، ولاتصح هذه الصلاة إلا بقراءة سورة الفاتحة كما قال المصطفى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم " لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ"[10]

وتحتوي سورة الفاتحة على صفات كثيرة ماليس لغيرها كما قال الإمام القرطبي: "وفي الفاتحة من الصفات ما ليس لغيرها، حتى قيل إنّ جميع القرآن فيها)[11] فالقرآن العظيم "بجملته تفسير لسورة الفاتحة بتفصيل مجملها، وكل سورة أخذت معنى منها"[12] ، فسورة الفاتحة هي عنوان الكتاب الذي يدل على ما فيه بإيجاز، وتلك هي براعة الاستهلال.

وذكر الإمام البقاعي أن سورة الفاتحة هي أم القرآن الكريم حيث قال: " وكانت سورة الفاتحة أُماً للقرآن؛ لأن القرآن جميعه مفصل من مجملها)[13]، والقرآن الكريم ابتدئ بالفاتحة؛ لأن "من مقتضيات البلاغة تقديم الشيء مجملا ثم تفصيله بعد؛ ليكون أوقع في النفوس وادعى لتمكنه منها"[14].

وقال الإمام السيوطي: "جميع القرآن تفصيل لما أجملته الفاتحة، فإنها بنيت على إجمال ما يحويه القرآن مفصلاً، فإنها واقعة في مطلع التنزيل، والبلاغة فيه أن تتضمن ما سيق الكلام لأجله؛ ولهذا لا ينبغي أن يقيد شيء من كلماتها ما أمكن الحمل على الإطلاق" [15]، وأصل سورة الفاتحة يمكن إجمالها بأنها تقوم على مقاصد ثلاثة عامة:

1- التعريف بالمدعو إليه كما أشير بصدرها.
2- التعريف بالصراط المستقيم كما صرحت به السورة.
3- تعريفها بالحال عند الرجوع إلى الله تعالى.

وتعتبر هذه المقاصد المهمة، كما أن هناك مقاصد أخرى هي المتممة للمقاصد الأساسية وهي:

1- التعريف بأحوال المطيعين الذي وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة: 7] .

---

[7] - محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن: ص، 303.
[8] - نفس المصدر ص، 304.
[9] - المحاسن، لأحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق: جلال الدين الحسيني ، 1370هـ، 1/ 116-117.
[10] - صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، ط5، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، 2740/6.
11- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 110/1.
12- نظرة العجلان: محمد الخطيب ص9.
13- نظم الدرر: البقاعي 22/1.
14- جواهر البيان: الغماري ص19.
15- أسرار ترتيب سور القرآن: السيوطي ص19.

2- التعريف بالغاية العظمى من عبادة الله تعالى ومنازل الطريق في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5][16].

قال الحسن البصري: " إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن، ثم أودع علوم القرآن في المفصل، ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة"[17].

فالآيات الثلاث الأولى شاملة لكل معنى تضمنته الأسماء الحسنى والصفات العلى. فكل مافي القرآن الكريم من ذلك مفصل من جوامعها، فالآيات الثلاث الأُولى من قوله ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ شاملة لكل ما يحيط بأمر الخلق في الوصول إلى الله والتحيز إلى رحمة الله، والانقطاع عن كل مادون ذلك. فكل مافي القرآن الكريم منه؛ فمن تفصيل جوامع هذه، وكل ما يكون وصلة بين ذلك مما ظاهرهن هذه من الخلق ومبدؤه وقيامه من الحق فمفصل من آية ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5][18]، وقد صح تسميتها بالسبع المثاني وتأويل ذلك أنها سبع آيات بلا خلاف بين القراء والمفسرين، ووصف الرسول ﷺ آياتها بالسبع المثاني، لأنها تثنى في كل صلاة تطوع ومكتوبة، وشاع عن العرب استعمال المثنى في مطلق المكرر نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ [الملك: 4] كقولهم: لبيك وسعديك. وعليه فيكون المراد بالمثاني هنا مثل المراد بالمثاني في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: 23] أي: مكرر القصص والأغراض[19].

المبحث الثاني: إجمال ألفاظ سورة الفاتحة وشرح مفرداتها:

إن سورة الفاتحة تقدمت سور القرآن الكريم من حيث الترتيب فكانت واجهة عريضة فيها، وسميت كذلك بأم الكتاب، والأساس، فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال، مع ما تضمنته من مقاصد منها: ان سورة الفاتحة في براعة الاستهلال بها نزلت من القرآن منزلة ديباجة الخطبة فقوله تعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾[الفاتحة: 2] عبارة ثناء، وتحمل تمهيدا لطلب أعظم مقصد في القرآن الكريم وهو طلب الهداية بقوله ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾[الفاتحة: 6] وما يحمل هذا التعبير من تعريف بالصراط المستقيم ولما عرف العبد المدعو إليه وعرف الصراط المستقيم، كان لابد من تعريف حال الرجوع إليه تعالى وهي الآخرة لذلك كان الثالث قوله تعالى ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: 4]، ولولا هذا المقصد لوقف العبد على الصراط من دون أن يبلغ مقصده كاملا. وبذلك تمت مقاصد سورة الفاتحة في وجهها الأول الخاص بالله سبحانه وتعالى من التعريف به وصراطه والمآل اليه والمرء في اشتياق بعد أن عرف تلك الأحوال أن يعرف أحوال صفات المطيعين من العباد بعد التعريف بالمعبود، ليقتدي بها ويطمح إلى تقليدها واتباعها؛ عله يحظى بمنزلة المطيعين من العباد المشمولين بهذه العناية والرعاية.

ويبين الزمخشري كيف ان سورة الفاتحة اجملت علوم القرآن فذكر انها مشتملة على الثناء على الله بما هو أهله وعلى التعبد والأمر والنهي وعلى الوعد والوعيد، وان آيات القرآن لا تخرج عن هذه الأمور[20]. وفي هذا إشارة إلى ما أجملته الفاتحة وفصلته السور. ولفظ الجلالة الله هو الاسم الكريم الذي ابتدأت به السورة؛ لأنه (دال على الذات، راجع اليه جميع الصفات، مختص به تعالى، لم يُسم به أحد، لا في الجاهلية ولا في غيرها، قال تعالى ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾ [مريم: 65] قال ابن عباس ﷺ: (أي : لا احد يسمى الله)[21]

---

[16]- ينظر: أسرار ترتيب سور القرآن ص19.
[17]- م.ن، السيوطي ص17، وينظر: قطف الأزهار: السيوطي 101/1.
[18]- ينظر: نظم الدرر، البقاعي 22/1-23.
[19]- ينظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور 133/1، وتأملات في سورة محمد: د. حسن باجودة ص22.
[20]- ينظر: الكشاف: 11/1.
[21]- قطف الأزهار، السيوطي 109/1، وينظر: تأملات في سورة الفاتحة: د. حسن باجودة ص41.

وراعى الخطاب القرآني الإيجاز في البسملة لكونها تكرر في سائر السور ما خلا سورة التوبة فكانت التسمية أولى من التحميد كما سيأتي. والبسملة (جمعت ما لم يجتمع في آية غيرها؛ وهو انها آية مستقلة في الفاتحة عند من قال به وهي بعض آية في النمل [30] وربعها الأول بعض آية في ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: 1] ونصفها الأول بعض آية في هود: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾[هود: 41] وربعها الثالث بعض آية في سورة الرحمن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ ﴾ [الرحمن: 1-2] ونصفها الثاني آية في الفاتحة وبعض آية في البقرة، هو ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ ﴾ [البقرة: 163])[22].

وسورة الفاتحة بنيت على أسلوب الإجمال والإطلاق ومما يستدل به على هذا الإجمال والإطلاق لفظة (الحمد) فقد جاء في لسان العرب: (الحمد والشكر متقاربان والحمد أعمهما، لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته)[23]، وأن الحمد سيعمك إذا وصلت تلك النِعَمُ إليكَ أو لغيرك[24].

ثم انه تعالى قال على لسان عبده ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ وليس على صورة أخرى (كأحمد الله) أو(نحمد الله)، لان هذين التعبيرين يكونان مختصين بفاعل محدد ، ففاعل (أحمد) هو المتكلم وفاعل (نحمد) هم المتكلمون من حيث أن عبارة (الحمد لله) مطلقة فهو المحمود على وجه الاجمال منك ومن غيرك.

وإن قولك (احمد الله) و(نحمد الله) مرتبط بزمن معين؛ لأن الفعل له دلالة زمنية معينة فالفعل المضارع يدل على الحال والاستقبال، ومعنى ذلك أن الحمد لا يحدث في غير هذا الزمان الذي نحمده فيه، في حين أن عبارة (الحمد لله) مطلقة غير مقيدة بزمن معين ولا بفاعل معين فالحمد فيها مستمر غير منقطع[25].

جاء في تفسير الرازي: إنه " لما قال ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ فقد أفاد ذلك انه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين، فهؤلاء سواء حمدوا أو لم يحمدوا وسواء شكروا او لم يشكروا فهو تعالى محمود من الأزل إلى الأبد بحمده القديم وكلامه القديم"[26]. وأضاف الرازي: " إن الحمد عباره عن صفة القلب وهو اعتقاد كون المحمود متفضلاً منعماً مستحقاً للتعظيم و الإجلال، فاذا نطق الانسان بقوله (احمد الله) وهو غافل عن معنى الحقيقي للتعظيم اللائق بذات الله سبحانه وتعالى كان كاذبا، لأن ذلك يكون اخباراً عن نفسه بكونه حامداً مع انه ليس حامداً لله تعالى، ولكن إذا قال ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ سواء كان غافلا أو مستحضر المعنى التعظيم، فانه يكون صادقا، لان معناه ان الحمد حق لله وملكه، وهذا المعنى حاصل سواء كان العبد مشتغلا، بمعنى التعظيم والاجلال او لم يكن، فثبت أن قوله ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ أولى من قوله (احمد الله)[27].

فلفظة الحمد انسب للاجمال منها الى مقيد يقيدها، كتحويل اسميتها الى جملة فعلية أو غير ذلك. والحمد لله في ابتداء سورة الفاتحة هو الأوقع والأنسب على السمع فيكون التعبير: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: 1-2] صورة متوازنة في السمع منسجمة مع ابتداء الخطاب مع الرحمن الرحيم.

فلفظ الجلالة (الله) عام مجمل لصفات أخرى، وأن الحمد استحقه لذاته لا بوصف دون آخر. والحمد (هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل سواء تعلق بالنعمة أو لا)[28] وهذا يعطي معنى الشمول

---

[22]- قطف الأزهار 127/1.
[23]- لسان العرب: ابن منظور (حمد) 552/2.
[24]- ينظر: التفسير الكبير: الرازي 219/1.
[25]- ينظر: لمسات بيانية: د. فاضل السامرائي ص14.
[26]- التفسير الكبير 220/1.
[27]- م.ن 220/1.
[28]- تيجان البيان في مشكلات القرآن: الخطيب العمري ص53.

والاطلاق للحمد. وقوله﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إشارة إلى ابتداء الخلق تنبيها على الاستدلالات بالمصنوع على الصانع وانه قال﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ولم يقل العوالم ذلك أن لفظة العوالم تطلق على جمع العوالم ممن شملهم تكليف أوغيرهم من الجمادات والحيوانات وغير ذلك، وان لفظة (العالمين) لا تطلق إلا على أهل العلم خاصة، وعلى ما اجتمع عليه أهل العقل وغيرهم فيسيغلب العقلاء، وقد جمع العالم ولم يؤت به مفردا لقرينة الاستغراق، ولو افرد لتوهم أن المراد من التعريف العهد أو الجنس؛ فكان الجمع تنصيصا على الاستغراق[29]. على هذا يكون قوله تعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: 2] ، إما أن يقصد رب البشر والمُكَلفين؛ وإما ربُ الخلقُ كلهم، وقدم العقلاء منهم. وهذا التخصيص أو التغليب سببه الكلام الوارد في سورة الفاتحة يعد خاصاً بأهل العقول المنيرة فقط، لذا فإن العبادة والاستعانة والهداية إلى الصراط المستقيم، وان التقسيمات المرضي عليهم ، والمغضوب عليهم وأهل الضلال والضالين هي تقسيمات خاصة بالمكلفين، وهذا التقسيم مناسب جداً ولو قال "ربُ العالَم أو ربُ العوالِم" لم يحسن هذا الحسن؛ لأنه يشمل الغير المُكَلَفين. وقوله ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ شمل الكُل؛ فالربُ يشملُ كلَ ما مرمن الصفات المتعلقة بالله تعالى سواء من الملك والخلق فهي صفة مطلقة تشمل العوالم كلها عاقلة وغير عاقلة وبذلك تؤكد هذه اللفظة عمومية الفاظ الفاتحة. ولما قال ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:] جاءت الصفات بعد ذلك على اسلوب الاطناب على عكس التسمية ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: 1] فقد جاءت على اسلوب الإيجاز فمقام الحمد مقام يقتضي من البسط ما لا يقتضيه مقام التسمية لان الغرض منها التبرك ومنها الاشارة الى ان التكرار اذا وقع في الكلام البليغ على سبيل التتابع ينبغي أن يفصل بينهما بشيء لا يكون اجنبيا؛ كما وقع بقوله ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ومنها الإشارة الى انه ينبغي أن يراعى في التسمية الإيجاز، وفي التحميد الاطناب... ومنها ان التسمية باعتبار تكرارها في سائر السور اولى بالاختصار من التحميد، فمنها ان التحميد لما كان الثناء بالجميل ينبغي أن يراعى في تكرره الثناء المتخالف؛ كما وقع في القرآن من قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: 2] ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأنعام: 1] ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الكهف: 1] ، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: 1] ، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: 1] ، بخلاف التسمية فان الأنسب ان يكون بأفضل الأسماء والصفات وهو الله الرحمن الرحيم[30].

واستغرق لفظ الحمد كل الزمان من الازل إلى الأبدية دون أن يترك شيئاً؛ كما في قوله ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [القصص: 70] وشمل ذلك قوله ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ [الزمر: 75] وقوله ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس: 10] ، فهذا هو الاستغراق في الحمد وشموله. وقوله ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ "كلام لا يقوم غيره مقامه، لا في ألفاظه ولا في ترتيبه"[31] قوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **جاءت** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ **يأتي** على صيغ (فعلان) والتي تفيد الحدوث في الاستدلال وكذلك التجدد نحو عطشان وجُوعان وغضبان وهي لا تدل على الثبوت وتفيد أيضاً الإمتلاءُ بالوصفِ[32].

---

[29]- ينظر: تفسير البيضاوي 3/1، وفتح القدير: الشوكاني 23/1، والتحرير والتنوير 198/1.
[30]- ينظر: قطف الأزهار ، 124/1.
[31]- قطف الأزهار 118/1.
[32]- ينظر: التفسير القيم ، ابن قيّم الجوزية 37/1.

وجاءت صفة ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ على صيغة (فعيل)؛ لتدل على الثبوت في الصفة نحو: طويل، وجميل، فكان جمع بينهما من أجل ان يدل على وصفه الثابت و المتجدد، وهو الرحمه الدائمة التي لاتنقطع، وهذا أفضل جمع بين وصفين، والوصف لايكون أدائه بوحده أجود من أدائهما مجتمعين[33]، وقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ **[الفاتحة: 4]** أي المالك ليوم الجزاء، وان لفظة (مالك) فيه معنى إطلاق التصرف فيما يملك، وان المُلكية تبقى في تصرف المالك إذا تصرف بما يملك، وان (مالك) تكون أشمل من لفظ (ملك) لأنها أمدح بأن يحسن أن يضاف إلى ما لا يمكن إضافته لـــ(الملك) نحو مالك الإنس والحيوان، ومالك الجمادات، فلفظة (مالك) أوسع من (ملك) لشمولها العاقل وغير العاقل، وكل هذه المعاني تعطي معنى الإطلاق والشمول لكلمة ﴿مَٰلِكِ﴾[34] وقد يسأل سائل لم قال: ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ ولماذا لم تأتي الآية بقول يوم القيامة؟ فالجواب على ذلك أن الله سبحانه وتعالى قال " راعا الفاصلة ومرجحاً للعموم؛ لأن الدين هنا هو الجزاء وهذا شامل لجميع الأحوال ليوم القيامة ابتداءاً من النشور الى السرمد الذي يدوم؛ بل يمكن أن يأتي بشيءٍ من النشأة الأولى بأسرها لأن يومَ القيامَةُ لا يُفهمُ مِنْهُ الجزاء مثل مايفهم من يوم الدين" [35].

وكذلك فإن لكلمة (الدين) معاني أخرى شاع استعمالها، كالطاعة والشريعة والجزاء والحساب والخضوع لله، وبذلك تذهب فيه نفس السامع كل مذهب، وقد أضاف الملك الى اليوم، واليوم لا يملك بل يملك ما فيه من امور مادية ومعنوية وذلك لقصد العموم والشمول، فملكية اليوم هي ملكية لكل ما فيه فهي إضافة عامة مطلقة[36]. واقتران الحمد بهذه الصفات الربانية أحسن اقتران وأجمله، وقد استغرق الحمد الأزمنة كلها فقد فالحمد استغرق حين كان الله سبحانه وتعالى الفرد الصمد ولم يكن معه شيء و هذا قول ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ والحمد استغرق وقتاً يوم كانت تنزل الرحمة ولم تنقطع ولن تنقطع، وهو قوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وكذلك يوم الجزاء استغرق الحمد، ويوم الجزاء يدوم الى لانهاية؛ وذلك لخلود الجزاء وأهله من الفائزين في جنانهم والخاسرين في نيرانهم، فجزاء كل منهم غير منقضٍ وذلك هو يوم الدين " ومن كونه مالكا للأمر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب، بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق، في قوله ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله"[37].

وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ **[الفاتحة: 5]** مع أن التعبير في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ قائم على الاختصاص إلا انه يوحي كذلك بأن العبادة على مختلف اصولها وفروعها هي حق مطلق لله وحده، وهذا هو مفهوم الاطلاق. ثم ان هذا التعبير الكريم قائم على اطلاق فعل الاستعانة، ولم يقيد بشيء، بل ان الاطلاق يشمل امور الدنيا والآخرة. وفي هذه الآية الكريمة لم يقل: أعبد واستعين وذلك مظهر من مظاهر الجماعة. وهذه السورة التي تقرأ في كل ركعات الصلاة يكون فيها إشارة إلى بيان فضل الجماعة وأهميتها بكلمة (نعبد) وكلمة (نستعين) وكلمة (اهدنا)؛ وهذا يدل على ان العبارة شاملة مجملة؛ فدين الإسلام دين جماعي تظهر شعائره في الصلاة والحج بوصفها من اكبر المظاهر الجماعية، وكذلك الزكاة والصدقات، من اكبر مظاهر التعاون الذي يخدم المجتمع، والمجاهدة من شؤون الجماعة، وإن الصيام ليس من العبادات المفردة محضة وغير ذلك كثير من الأمور التي فيها مظاهر جماعية مما يدل على الإطلاق دون التقييد، " وأن النون تأتي في الفعلين تكون بقصد الإخبار من الداعي عن نفسه وجنسه من العباد. ويقال

---

[33]- ينظر: لمسات بيانية ص37.
[34]- ينظر: البحر المحيط: أبو حيان 134/1.
[35]- روح المعاني: الآلوسي 88/1.
[36]- ينظر: روح المعاني 88/1، وينظر: لمسات بيانية ص38.
[37]- الكشاف 18/1.

أن المقام لما كان ذاقيمة عظيمة لم يستقل به الواحد استقصارا لنفسه واستصغارا لها؛ فاالنون جاءت بقصد التواضع لا لتعظيم النفس"[38]. وفضلا عن مجيء (نستعين) وغيرها على معنى الجماعة وأنها مظهر من مظاهر الجماعة؛ فانها جاءت مناسبة للمعنى المراد ومراعاة حسن الكلام؛ فان الوقوف على فاصلة معينة في القرآن لم يأتِ لاجل تناسب الفواصل حسب، وانما لمعنى مراد مقصود فضلا عن المفاضلة، خلافا لمن اعتمد الفاصلة وحدها نحو ابن الأثير من القدماء، ود. إبراهيم السامرائي من المحدثين[39].

والتعبير القرآني على هذه الصورة جاء مراعاة للمعنى والنظم في آن واحد.

وانه لما وصف بأنه رب العالمين سبحانه علم انه حاضر في كل زمان ومكان، وليس غائبا؛ ولم يذكر له سبحانه في سورة الفاتحة ظرفا مكانيا او زمانيا على جهة الاجمال والإطلاق، ذلك لانه هو الرب للعالمين أجمع فلا يختفي عنهم ولا يختفون عنه، فلما اتضح أنه حاضر كان النداء بالحاضر المخاطب[40].

وعبارة ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: 6] لما سبقت احكاما مطلقة عامة في أول الفاتحة جاء الطلب بالهداية من العبد، وان يبين لهم ربهم معرفة هذا الدين فعرفه لهم بأنه (الصراط المستقيم) بيانا للدين القويم على الاستعارة بتشبيه الدين القويم بالصراط المستقيم وكما جاء في اللسان: هديته الى الطريق، أي عرفته، وهي لغة اهل الحجازيين وهداه الى الطريق بمعنى أرشده إليه، وهداه للطريق بينه له أيضا، وهديت لك بينت لك وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ﴾ [السجدة: 26] أولم تبين لهم[41]؛ فالبعيد الضال الذي يضل طرقه سيحتاج الى هادٍ يوصله ويدله، فهنا نستعمل "يهدي الى"أي يوصل اليه ويرشده اله، والذي يصل الى الطريق سيحتاج الى هادٍ يُعرفه بطبيعة الطريق يبين له مراحل هذا الطريق ومخاوفه ، ويدله على الأماكن ومراحلها وما فيها من مخاوف واماكن الهلكة والامن ويعرفه بما يحتاج السالك في هذه الطريق، وهنا نستعمل "هداة الطريق"، وهذا مناسب لما جاءت عليه السورة في طلب الهداية في معرفة أمور الدين موضحة لهم، فالسورة اجملت لهم أسس هذا الدين، ولم تبين لهم كيف العمل بهذه الأسس والاحكام النظرية، فطلب الهداية في هذه السورة بـ ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ دون التعدية بالحرف لمن كان في الطريق بعد تلقي الاشارات والدلائل إليه دون تفصيل بمعرفة خصوصيات الأصول، فيطلب أن يعرفه ويبصره بشأنه ولمن اصابه الضلال والانحراف من المؤمنين عن جادة الصواب ، فيرده اليها فتشمل القسمين أي "اهدنا الصراط" دون تعدية، فجمع عدة معان كما سبق، وان التعدية دون أحرف فقال لمن يكون في الطريق ومن لا يكون، فنطلب للذي في الطريق الهداية، وأما الموحدين الحامدين لله، كان المعنى زيادةً على ما سبق هو الطلب للإستمرار بالهدايةِ على الطريق المستقيمِ والثبات على الهدى والزيادة فيه، قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ [محمد: 17] وهكذا يكون بتفصيل الأحكام وبيانها بعد أن أجملها.

وجاء القول : " ومضمون الكلام هو طلب استمرار سبل الهداية الى الطريق الذي أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم؛ لأن من يصدر منه الحمد لله ويخبر بأنه يعبد الله ويستعينه فقد تحققت له الهداية، وعليه أن الله تعالى دوام استمرارها "[42]. ولذلك نجد في اول سورة البقرة صفات هؤلاء الحامدين مبينة ومفصلة بعد إجمالها في سورة الفاتحة ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ وهم المقبولون وهم هنا طائفة واحدة اما المردودون فهم فريقان: المغضوب عليهم والضالون، والذين اتكملت نعم الله سبحانه وتعالى عليهم هم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به

---

[38]- فتح القدير 25/1.
[39]- ينظر: من بديع لغة التنزيل، د. إبراهيم السامرائي ص9.
[40]- ينظر: لمسات بيانية ص37.
[41]- لسان العرب: (هدى) 774/8.
[42]- البحر المحيط 148/1. بتصرف يسير.

وهؤلاء هم المرادون بقوله(انعمت عليهم) فقد ذكر الصـــراط اولا مجملا وثانيا مفصـــلا بيانا وايضـــاحا للاول[43].

ومع أن قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ هو تفصيل لقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ الا ان الاســـلوب جاء على الاجمال في الجملة الفعلية في قوله: ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ لم يذكر نوع النعم مفصـــلا، وانما جاء الاسلوب على الاجمال.

وبني المغضـوب عليهم للمفعول اليهم الغضـب، عليهم: غضـب الله وغضـب الغاضـبين لله، وهذا اللفظ لا يتخص بغاضـــب واحد محدد فهم المغضـــوب عليهم من كل الجهات، وان العلائق تتقطع بينهم نحو قوله تعـالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾ [الأنعام: 94] وقـال: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ [العنكبوت: 25] وتبرأ بعضـــهم من بعض، حتى أن الانســـان ليعلن البراء من جلده واعضـائه التي ستشـهد عليه يوم القيامة ؛ فهؤلاء هم المغضـوب عليهم من كل شـيء ومن كل احد وهذا عموم وشمول. فانظر هذا العموم في الغضب وهذا الاطلاق.

وقال: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ فجاء بـ (لا) بدل (غير)، قبل كلمة الضالين؛ لئلا يُفهم من ذلك بأن هناك مفاضـلة بين من جمع الغضـب والضـلال، ومن لم يجمع بينهما، فالمباينة لكل صـنف منها وهذه دلالة عموم واطلاق وجاء في الكشـاف فان قيل: "لِماذا أدخلت [لا] في[ولا الضـالين] فالجواب هو أن لفظة (غير) من معنى النفي كانه قيل: لا المغضـوب عليهم ولا الضـالين)[44] سـؤال الكشـاف يعني ان (لا) المسماة بالمزيدة عند البصريين انما تأتي مابعد واو العاطفة، وتكون في سياق نفي التأكيد والتصريح لأن النفي جاء معلقاً بالمعطوف والمعطوف عليه؛ ولكي لا يفهم خطأً ان المنفي هو المجموع مِن حيثِ هو مجموع نفســـه ، فيجوز هنا إثبات احدهما[45]. وبهذا يتناســـب قوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُـــوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّـــآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: 7] وقوله ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فالحمد مطلق غير مقيد بزمن ولا بفاعل معين وهو دائم ثابت وهؤلاء أنفسـهم المغضـوب عليهم والضـالون على جهة الثبوت والدوام[46]. وهذا من تناسب مفتتح السورة ومختتمها.

(وبنوا الصـراط على وزن (فعال) لانه مشـتمل على سـالكه اشـتمال الحلق على الشـيء المسـروط، وهذا الوزن كثير في المشـتملات على الأشـياء، كاللحاف والخمار والرداء والغطاء والفراش والكتاب الى سـائر الباب)[47] ومع أن لفظة (المستقيم) صفة مقيدة له إلا أن هذه الصفة مع موصوفها اعطت معنى عاما غير مقيد.

واضافة (الصراط) الى الموصول المبهم (الذين) دون ان يقول: صراط النبيين والمرسلين؛ ففيه إجمال؛ اذ لم يبين من هؤلاء المنعم عليهم، وفصّـل ذلك في موضـع آخر بقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النساء: 69] ففصل بعد إجمال.

وفي ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ إن " فعل الهداية متى عُدّي بـ(إلى) تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة فأتي بحرف الغاية، ومتى عُدّي بـــ(اللام) تضـمن التخصـيص بالشـيء المطلوب فأتي باللام الدالة على الاختصـــاص والتعيين فاذا قلت هديته لكذا فهم معنى ذكرته له وجعلته له وهيئته ونحو هذا، واذا تعدى

---

[43]- ينظر: الكشاف 21/1.
[44]- الكشاف 22/1.
[45]- ينظر: م.ن 22/1.
[46]- ينظر: لمسات بيانية ص76. بتصرف يسير.
[47]- بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية 244/1.

بنفســـه تعدى المعنى الجامع لذلك كله، وهو التعريف والبيان والإيهام. فالقائل اذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّـــرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ هو يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يلهمه ويعرفه اياه ويجعل له مقدرة عليه، فيجعل في قلبه عِلمه وإرادتَه وقدرته عليه، فيجرّد الفعل من الحرف ويأتي مجرداً به، فيعدوا بنفسه ليتضمن هذه المراتب كلها ولوعُدي بحرفٍ تعين معناه وتخصص معنى ذلك الحرف، فتأمله فانه من دقائق اللغة واسرارها"[48] فعدم التعدية بـــ(الى) او بـــ(اللام) يعطي معنى العموم والاطلاق ثم فسره بقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ " ولم يقول إهدنا الصراط الصراط الذين أنعمت عليهم؛ لأنه جاء في الأول التنبيه والإشعار بأن الصراط المستقيم هو نفسه صراط المؤمنين؛ فدل عليه دلالة بالغة، كما يقول: هل أدلك على فلان الاكرم الأفضل؛ فهنا انت تُثبت ذكره إحمالاً وتفصيلاً فجعلت منه علماً في الكرم والفضل، كانك قلت: من اراد رجلا جامعا للخصلتين جميعا فعليه بفلان)[49] وان عبارة ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فيها هاتان اللفظتان اللتان جاءتا على سبيل الإجمال هنا، وفصلت في مواضع اخرى من التنزيل مرتبة في سورة البقرة بعدها بقوله تعالى: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩٠﴾ [البقرة: 90] ثم في سورة المائدة: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠﴾ [المائدة: 60] وكذلك قوله في السورة نفسها: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾ [المائدة: 77] ، ثم قوله في سورة الاعراف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [الأعراف: 152] وقد جاء ذكر اليهود وهم المغضوب عليهم في سورة البقرة مفصلا وفي سورة آل عمران جاء مجملا، وجاء ذكر النصارى (الضالين) مفصلا في آل عمران ومجملا في البقرة[50] والمغضوب عليهم والضالين جاء ذكروهما في سورة الفاتحة بحسب الترتيب الزماني؛ فعقبها بسورة البقرة وإن جميع ما ذُكر فيها من الخطاب لأهل الكتاب اليهود خاصة، وما جاء من ذكرٍ للنصارى فيها لم يقع بذكر الخطاب، ثم تلا سورة البقرة سورة آل عمران وإن أكثر ما جاء فيها من الخطاب هو لأهل الكتاب من النصارى[51]. وهذا من أسرار إعجاز القرآن وبدائعه.

المبحث الثاني: تناسب الأطراف في سورة الفاتحة:

جاءت سورة الفاتحة لكي تتناسب مع مواقع متعددة في القرآن الكريم سواء من ناحية الإفتتاح والختام أو تناسبها مع السورة التي تليها سورة البقرة ، وعلى هذا الإعتبار يمكن تقسيمها الى:

المطلب الأول: تناسب سورة الفاتحة بين الافتتاح والاختتام

إن خاتمة سورة الفاتحة جاءت كتفصيل جملة المطلوب فيها إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال؛ ففصّل جملة ذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ؛ والمراد: المؤمنون؛ ولذلك أطلق الانعام ولم يقيده ليتناول كل انعام؛ لأن من انعم الله عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم عليه بكل نعمة؛ لأن نعمة الإيمان مستتبعة لجميع النعم؛ ثم وصفهم بقوله﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا

48- بدائع الفوائد 238/1.
49- المثل السائر 27/1.
50- ينظر: نظم الدرر 13/2.
51- ينظر: أسرار ترتيب سور القرآن: 27، 28، وينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى سالم ص86.

﴿ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ يعني أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله والضلال المسببين عن معاصيه وتعدّي حدوده[52].

المطلب الثاني: تناسب سورة الفاتحة مع بداية سورة البقرة:

إنّ افتتاح سورة البقرة بقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: 1-2] إشارة إلى الصراط في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط قيل لهم: " ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب، وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة" [53]، وكما ختمت الفاتحة بالدعاء للمؤمنين على وجه الإجمال ختمت سورة البقرة بالدعاء للمؤمنين على وجه التفصيل " فتآخت السورتان وتشابهتا في المقطع؛ وذلك من وجوه المناسبة في التتالي والتناسق"[54].

وفي قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ كرر لفظة : ﴿صِرَٰطَ﴾ "وذلك بان الصراط هو المكان المهيأ للسلوك، فذكر في الأول المكان ولم يذكر السالكين، فأعاده مع ذكرهم فقال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: 7] ولهذا كرر أيضا قوله﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: 52-53] لأنه ذكر المكان المهيأ"[55] أولا ثم ذكر غايته ومطلوبه.

وإذا ماعدنا الى سورة الفاتحة مرة أخرى نجد لها وجها آخر من الإعجاز فإنها مطلقة مفتوحة على جميع سور القرآن وفيها كذلك نوع تفصيل للاسم الشامل المطلق (الله) انه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وانه ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، وفيها نوع تفصيل للصراط المستقيم انه ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ يقول السيوطي: " وإذا تأملت ما أوردناه في هذه السورة -على وجازتها- من الأسرار اللطيفة، والنكت البديعة علمت مناسبة الافتتاح بها وكونها أُم القرآن وأفضله وأعظم سوره، هذا مع انه على كثرته بالنسبة إلى ما اشتملت عليه مما لا تدركه أفهامنا، كنقطة من بحر" [56]، فهي سورة مجملة الألفاظ فيها نوع تفصيل تنبيها على أن القرآن العظيم جاء على هذا الأسلوب بين إجمال وتفصيل أو إيجاز وإطناب.

الخاتمة :

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبعد هذا السفر الطويل الممتع في رحاب سورة الفاتحة توصل الباحثان الى بعض النتائج المهمة من هذه الدراسة منها:

1- إثبات معجزة القرآن الكريم الذي أعجز دهاة العرب عن الإتيان لو بأية منه .
2- تعتبر سورة الفاتحة ام الكتاب وهيس السورة التي أجملت كل آيات القرآن الكريم كما قال الإمام السيوطي: "جميع القرآن تفصيل لما أجملته الفاتحة".
3- السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي تعد أساساً لصحة عبادة الصلاة لقول النبي صلى الله عليه وأله وصحبه وسلم " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب "[57]

---

[52]- ينظر: البرهان: الزركشي 233/1.
[53]- الاتقان: السيوطي ص70.
[54]- أسرار ترتيب سور القرآن ص28-29.
[55]- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي 130/1.
[56]- قطف الأزهار 150/1.
[57]- صحيح البخاري، 6/ 2740.

4- احتوت آيات القرآن الكريم ولاسيما سورة الفاتحة على أساليب بلاغية زادت من جمالية هذا الترابط بين الآيات.

أما التوصيات:

فنوصي بما يلي:

1- السعي بجد من أجل إيجاد وسائل مبتكرة جديدة لفهم آيات القرآن الكريم وتدبر أياته.

2- العمل على دراسة المخطوطات التي تتعلق بتفسير القرآن الكريم وإعادة كتابتها والعمل على تحقيقها.

3- استمرار انعقاد مثل هذه المؤتمرات التي تساهم في تلاحق أفاكار الباحثين والخروج بثمرة جديدة تصب في خدمة المسلمين وتساعد على فهم حقيقة معاني القرآن الكريم.

والحمد لله رب العالمين ...

المصادر:

القرآن الكريم.

1- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر، ط1394،1هـ -1974م.

2- أسرار ترتيب القرآن: " تَناسُق الدرر في تَناسُب السوَر» كما سَمّاه مؤلفُه"،جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد القادر عطا وآخرون، الناشر: دار الفضيلة للنشروالتوزيع – القاهرة، ط1، 1422هـ -2002م.

3- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1418هـ.

4- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1376هـ - 1957م.

5- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)

6- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، ، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

7- تأملات في سورة محمد، حسن محمد باجودة، الناشر، جامعة ام القرى – السعودية، ط2.

8- التحرير والتنوير" للعلامة محمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ)، الناشر: دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس سنة النشر: 1984 هـ.

تحقيق: محمد علي النجار، (د.ط)، (د.ت).

9- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط1، ١٤١٠ هـ.

10- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.

11- تفسير الكشاف، محمود بن عمر بن احمد الزمخشري ، ضبطه ورتبه: مصطفى حسين أحمد، ط3، 1407هـ - 1987م.

12- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري: ، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر : دار احياء التراث- بيروت،ة ط1، 2001م.

13- تيجان البيان في مشكلات القرآن، محمد أمين بن خير الله الخطيب العمري، (د.ط)، (د.ت).

14- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، لأبي الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري، ط1، الناشر: مكتبة القاهرة – مصر.

15- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانيفتح القدير، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، ١٤١٥ هـ.

16- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمين، ، تحقيق حسن بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر ، بيروت 1999م.

17- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، ط5، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

18- قطف الأزهارفي كشف الأسرار، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: احمد بن محمد الحمادي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر، ط1، 1414هـ - 1994م.

19- لسان العرب، محمد بن منظور: ، الناشر: دار صادر- بيروت، ط3، 1414هـ.

20- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط3، 1423هـ - 2003م.

21- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة.

22- المحاسن، لأحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق: جلال الدين الحسيني ، 1370هـ.

23- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط3، 1420هـ.

24- مقاييس اللغة، أحمد فارس بن ذكريا الرازي: ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر عام 1979م.

25- من بديع لغة التنزيل، د. إبراهيم السامرائي، الناشر : دار الفرقان للنشر والتوزيع- الأردن، ط1، 1404هـ - 1984م.

26- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني: ، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3.

27- نظرة العجلان في أغراض القرآن بمناسبة آياته ووحدة الموضوع في سوره، محمد بن كمال أحمد الخطيب، الناشر : مجلة التمدن .

28- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.